ثقافة الأمة : معادلة الوحدة والتنوع

مصطلح الثقافة سببّ إختلافاً كبيراً بين الناس في تصور مدلوله

بقلم :جابر إدريس عويشة

شاءت حكمة الله تعالى أن يبني الكون كله في تكاثره ونموه على سنة ثابتة، هي السنة التي تقوم على معادلة الوحدة والتنوع.

فما من نموّ يحدث فيه مادياً كان أو معنوياً إلا وهو يحدث بأسباب تجمع بين وحدة من جهة يفرق بينها من جهة أخرى، فإذا اختلفت هذه المعادلة بتناقض تنتفي معه الوحدة، أو بتطابق ينتفي معه التنوع لم يحدث تكاثر ولا نمو، وآل الأمر إلى التوقف أو إلى التراجع.

ومن مظاهر تلك السنّة الإلهية في عالم المادة ما بنيت عليه الحياة في عالم الإنسان والحيوان والنبات من قانون الزوجية بين ذكر وأنثى، فتلك الزوجية بما هي وحدة في الجنس من جهة، وتنوع بالذكورة والأنوثة من جهة أخرى، يتم سعيها النمو والتكاثر، فإذا ما اختلفت هذه المعادلة بانتقاء عنصر الوحدة كأن يحدث التزاوج بين الجنسين، أو بانتقاء التنوع كأن يحدث التزاوج بين أفراد النوع الواحد انتهى الأمر إلى الفهم الذي يتوقف به نموّ الحياة وتكاثر الأحياء.

ومن مظاهرها في عالم المعاني ما بني عليه المجتمع الإنساني في سبيل نمّو التعاون والتراحم والتكافل بين أفراده من معادلة تجمع بين وحدة الأصل وتنوع الشعوب والقبائل، كما جاء في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣) الحجرات الآية (١٣) . فلو انعدمت وحدة الجنس المؤذنة بالهناء، ولو كان الناس أمة واحدة متماثلة ما كان عند بعضهم من كسوب المعارف والخبرات ما يفيد الآخر ويرقيه، فآل الأمر في نمو جماعة الإنسان أو إلى بطء شديد فيه ، ألا ترى الجماعات الإنسانية المعزولة في قمم الجبال أو بطون الأدغال تحافظ بانعزالها القرون الطويلة على تماثل بين أفرادها، فكانت بسبب ذلك أكثر جماعات الإنسان تخلفاً في سُلّم الحضارة الإنسانية.

وبما أن هذه السنّة المؤسسة لسبب من أسباب النمو هي سنة إلهية بني عليها سبحانه وتعالى شؤون الكون كله،فإن الدين الإسلامي الذي هو خلاصة الأديان وخاتمتها جاء بين حياة الإنسان على منهج يطابق تلك السنّة الكونية في سبيل أن تكون تلك الحياة نامية مستمرة،وهو ما يبدو في تلك التعاليم الدينية التي تؤسس لأمة تقوم ثقافتها على معادلة الوحدة والتنوع، والتي أخرجت الناس أمة هي في الواقع التاريخي كذلك في سمتها العام، وبتلك المعادلة الوحدة والتنوع في البناء الثقافي نمت الأمة الإسلامية الحياة الإنسانية أشواطاً بعيدة في التحضر المادي والمعنوي، فما هي حقيقة تلك الثقافة في انبنائها على معادلة الوحدة والتنوع؟ وكيف تتم بناءها في كل نموّ في الحياة ؟ وهل أصاب تلك المعادلة من خلل يستوجب الجبر لتكون المعادلة كما أريد لها مثمرة لنمو الحياة؟

الثقافة والثقافة الإسلامية:

يعتبر مصطلح الثقافة من أكثر المصطلحات سعة في المدلول، مما كان سبباً في اختلاف كبير بين الناس في تصور مدلوله، وفي استعماله للدلالة عليه، وهو الأمر الذي تعدى أيضاً إلى مصطلح الثقافة الإسلامية، وذلك ما يستلزم بادئ ذي بدء تحديد مفاهيم هذه المصطلحات ليكون توارد الأذهان في معانيها على سواء.

أ. الثقافة:

جاء في معاجم اللغة أن مادة (ثقف) تفيد معاني التسوية والتقديم، فثقّف الرمح أو العود معناه سوّاه وقوّمه حتى صار قويماً سويّاً. ولا يعلم على وجه الدقة متى أصبحت هذه المادة تدل في اللسان العربي دلالة اصطلاحية، سوى أنه منذ ما يقارب القرن مالت كلمة الثقافة إلى أن تستعمل في معنى المنهج الذي يحقق الحياة، فإذا ثقافة أمة من الأمم، أو شعب من الشعوب أصبحت تعني المنهج الذي تنتهجه تلك الأمة، أو ذكر شعب في مباشرة الحياة، أسلوباً في التفكير وطريقة سلوكه في العيش الجماعي والفردي بشتى مظاهره وأشكاله.

والثقافة بهذا المعنى الاصطلاحي الذي يفيد معنى المنهجية في مباشرة الحياة فكراً وسلوكاً إنما تتكون بعامل أساسي هو العامل الأيدلوجي الذي يتمثل في الصور التصديقية المتعلقة بالوجود والكون والحياة، فتلك الصورة هي التي تشكل منهجيتها في مباشرة للحياة بالتفكير والسلوك، وهي التي على أساس اختلافها بين الأمم تختلف ثقافتها، وهي التي قدر نسبتها من الحق تكون الثقافات الناشئة منها متفاوتة في تحقيق الحياة لأغراضها في الترقي في سلّم الإنسانية.

والثقافة دائماً تنسب إلى الأمم والشعوب ولا تنسب للأفراد، فيقال الثقافة اليونانية أو الثقافة الإسلامية، أو الأرسطية أو الغزالية...

إن الثقافة مهما تبنى عليه في قوامها من معنى الوحدة الجامعة، فإن فيها مجالا للتنوع في نطاق تلك الوحدة، ولتلك المعادلة بين الوحدة والتنوع دور كبير في إثمار الحياة وتقدمها.

ب. الثقافة الإسلامية:

على ضوء ما سبق من تحديد مفهوم الثقافة فإن معنى الثقافة الإسلامية يكون حاملا لذات المفهوم المنهجي في مباشرة الحياة، ولكن بمواصفات إسلامية تبنى على العقيدة الإسلامية التي بنت في واقع التاريخ أمة من الناس على منهج في مباشرة الحياة بالفكر والسلوك العملي حصلت به كسوب حضارية مشهودة.

وهنا نلاحظ أن معادلة الوحدة والتنوع في الثقافة بجوانبها العقدي المؤسس لهذه الثقافة، والجانب الفكري في تلك الثقافة، والجانب السلوكي العملي فيها، ومسيرتها التاريخية الواقعية المتمثلة في الثقافة الإسلامية كما كانت عليه في واقع التاريخ .

وباعتبار هذه العناصر الأربعة هي المكوّنة للثقافة الإسلامية، كيف تتنزل معادلة الوحدة والتنوع التي نحن بصددها، وما هي المظاهر الثابتة لتلك الوحدة التي تجمع عليها الأمة عبر المكان والزمان؟ وما المظاهر التي تكون التنوع وإلى أي مدى يكون؟ وما الحد في توازن تلك المعادلة الذي يكون به نماء الحياة؟ وما العبرة من صيرورة التاريخ في هذا الشأن؟

كنوز المعرفة

د. الطيب محمود

المعروف والعرف والعارفة كل خصلة حسنة ترتضيها العقول وتطمئن إليها النفس ، قال تعالى : □خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ○الأعراف١٩٩ ، قالَ القرطبي : (خذ العَفو) دخل فيه صلة القاطعين ، والعفو عن المذنبين ، والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين ، ودخل في قوله : (وأمر بالمعروف) صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام ، وغض الأبصار ،والاستعداد لدار القرار ، وفي قوله : (أعرض عن الجاهلين) الحض على التخلق بالعلم ، والإعراض عن أهل الظلم ، والتنزه عن منازعة السفهاء ، ومساواة الجهلاء ،الأغبياء ، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة .

وقد جمع رسوالله (صلى الله عليه وسلم) هذه الخصال لجابر بن سليم قال ، قلت أي مخاطباً رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إنا معشر أهل البادية ، قوم فينا الجفاء ؛تعلمت كلمات ينفعني الله بها ، قال : (أدن) ثلاثاً ، فدنوت ، فقال (أعد عليّ) فأعدت عليه ، فقال (إتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئاً ، وأن تلقى أخاك بوجه منبسط ، وأن تفرغ من دلوك في إنا المستسقي ، وإن امرؤ سبك. بما لايعلم منك فلا تسبه بما تعلم فيه فإن الله جاعل لك أجراً ، وعليه وزراً ، ولا تسبنّ شيئاً مما حولك قال أبوجُرس : فو الذي نفسي بيده ما سببت بعده شاة ولابعيراً ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنّه قال : (إنكم لاتسعون النّاس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق) .

وللمعروف فوائده كثيرة وفقهية ، يجدها من يبذل المعروف ، وابتغاء وجه الله ، وفيما يلي فائدتان لبذل المعروف ، أما الأولى فالمكافأة ، وأمّا الثانية فالدعاء ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله تعالى فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدو ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) ، كما نعلم أن المعروف شجرة مثمرة في كل حين للشاكر والكافر معاً ، أي شاكر المعروف وكافره ، فأهل المعروف معروفون بمعروفهم يخبر عنها في قلوبهم من الخير حالهم، وإن لم يفصح بذلك مقالهم متوحشين بقول الشاعر:

كل الأمور تزول عنك وتنقضي
إلا الثناء فإنه لك باقي
ولو انني خيرت كل فضيلة
ما اخترت غير مكارم الأخلاق

للإعلام دور كبير في دحض الإفتراءات ضد الإسلام

الإعلام وسيلة هامة في تقريب المسافات وتذويب الإختلافات

منى محمد علي
جامعة الإمام الهادي

نعلم جميعاً بأن رسولنا العظيم محمد (صلى الله عليه وسلم) هو الإعلامي الأول فهو يدعو في كثير من أحاديثه إلى الإعلام ، حيث بعث برسالاته إلى الملوك والرؤساء قائلاً لهم : (أدعوكم بدعاية الإسلام) ويقول لكافة المسلمين (من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) ويقول أيضاً: (بلّغوا عني ولو آية)، فكل هذه الأحاديث وغيرها توضح لنا أن رسولنا الكريم يريد منا أن نكون إعلاميين نبلغ ونوصل المعلومات والحقائق السليمة والصحيحة الصادقة عن الدين الإسلامي إلى كل الناس والشعوب ، وبني البشر والإنسان في جميع أرجاء الكون.

واليوم في عالمنا المعاصر أصبح الإعلام الغذاء الرئيسي للعالم وعملت وسائله المختلفة على تقريب المسافات وتذويب الاختلافات بين بني البشر وإزالة الحواجز والحدود بين الدول، بفضل الله سبحانه وتعالى ، والتطور التقني والتكنولوجي الكبير الذي جعل معه سهولة التحكم في أخبار العالم من خلال جهاز صغير بسيط يحمل في الأيدي، مما سهل إبراز الثقافات المختلفة لتصل لجميع الشعوب في كل بقاع العالم.

لذا نحتاج في الدولة الإسلامية لهذا الإعلام لإبراز الثقافة الإسلامية من خلال الدعوة الإسلامية والدعوة لهذا الدين الإسلامي السمح الذي يصلح لكل زمان ولكل مكان.

وكما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (أنتم أعلم بأمور دنياكم) فعليه تقع المسؤولية الكبيرة العظيمة على الإعلام في الدولة الإسلامية ليكون دعوياً في مضامينه ومناهجه ، لكي يخدم الدعوة الإسلامية متحدياً بذلك الاختراق والغزو الثقافي الوارد إلينا عبر الإعلام الآخر.

فيجب أن توضع الخطط والبرامج الإعلامية دعوية

ليكون الإعلام الدعوي في أساليبه ومفاهيمه ، حتى يصل إلى جميع أنحاء العالم وتعرفه كل الشعوب إسلاماً أصيلاً غير مشوه ولا محرف لصالح فئة معينة كما كان يحدث من قبل.

بل دعوة إسلامية خالصة تحمل الثقافة الإسلامية الأصيلة وتعرّف جميع شعوب العالم بالإسلام في سماحته وعدله وصدقه وشموله وكماله وخدمته للإنسان والإنسانية جمعاء ، حتى تتسع دائرته ويكثر معارفه وأصدقاؤه... وحتى يسلم من الإدعاءات والافتراءات الواقعة عليه من جراء الجهل به وعدم الوقوف على مكنوناته وأصالته وعدله وسماحته.

وبذلك يكون الإعلام سليماً ومعافىً من كل شائبة يمكن أن تشوه الوجوه أو تدمر الأخلاق أو تباعد بين الشعوب، فيصبح الهدف واضحاً والطريق سالكاً وجلياً ؛ لأن الدين الإسلامي وعاء لا ينضب ولا يجف، فهناك الكثير . جداً . من العلماء والباحثين في المجالات الإسلامية المتعددة ينتظرون الفرصة كي يوصلوا ما يحملونه من علم فياض ، ودراسات طيبة ثرة بيضاء ناصعة ، كي ينفعوا بها البشرية جمعاء، وهناك جمع هائل من المبدعين الذين حباهم الله بعض الجاذبية وتوصيل محتويات الرسالة الإسلامية بأسلوب جذاب وشيق، أيضاً يجب الالتفات إليهم وإعطاؤهم فرصة الانطلاق ؛ حتى تكتمل الصورة وتتفاعل المناهج مع الأساليب والرسائل ، لتخاطب العقول والنفوس والعواطف معاً ، حتى يكون الأثر أبلغ والنتيجة مشرفة ، وكما قال الدكتور محمد منير حجاب في كتابه (تجديد الخطاب الدعوي في ضوء الواقع المعاصر) فالإعلام في يد الداعية أداة جيدة لنشر الحقائق والمعلومات الصحيحة عن الدين وعن الأنشطة المختلفة للمجتمع بطريقة موضوعية ومتوازنة، كما يتخذ من الأسلوب الإعلاني وسيلة للتأثير في الجماهير ... وخاصة في استخدام الشعارات والرموز والقصص وغيرها من الفنون، لتعليم القيم وتنميتها.

كما أن العلاقات العامة يمكن أن تصبح وسيلة لربط الناس بالمسجد من خلال تحسين صورة المسجد وتحقيق المشاركة الفعالة في جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة للأفراد ولتحسين صورة الإسلام والمسلمين في المجتمعات الغربية).

وهكذا يكون الإعلام في الدولة الإسلامية دعوياً عمله خالصاً للدعوة ومن أجل الدعوة وهدفه الدعوة والتأثير السليم ، مستخدماً جميع أفرع الاتصال وتطويرها لصالح الدعوة ، واضعاً الهدف السامي أمامه وهو التعريف والقبول والإقناع ، وبالتالي التأثير الفاعل والقوي في الخبر؛ ليتم تغيير المفاهيم والمعلومات وبالتالي السلوك للأفضل والأصلح في جميع المجتمعات سواءً أكانت العربية أم الأجنبية.